

الأبعاد الاقتصادية والاجتماعية للزكاة

كـ - أ. مسدور فارس (*)

إن الإجابة على هذه الأسئلة تقودنا إلى البحث في حقيقة الزكاة والأبعاد الحقيقية التي يتغى الوصول إليها من تطبيقها وتنظيمها.

العمل المؤسسي للزكاة:

إن أي نشاط في مجتمع ما مهما كان نوعه أو طبيعته لا يمكن أن يصل إلى المبتغى منه ما لم يكن منظما، وإذا ذكرنا التنظيم علينا أن نضع لهذا التنظيم هدفا أساسيا، وإن تطلب الأمر أن نستعين بالأهداف المرحلية فيكون الأمر أكثر نجاعة، فما هو الهدف الأساسي للزكاة؟

إن الإجابة موجودة في حديث لرسول الله صلى الله عليه وسلم إذ يقول: "ثمروا أموال اليتامى حتى لا تأكلها الزكاة"، ومن هنا يتبين لنا أن الزكاة تتبع المال الراكد المكتنز المحبوس عن التداول، ثم لنسمع قول

قبل أن نشرع في مدخل: الحديث عن الدور الاقتصادي والاجتماعي للزكاة، علينا أن نطرح عددا من التساؤلات نرى من الضروري إبرازها وهي كالتالي:

● هل تعتبر الزكاة أداة من أدوات الإغاثة ينتهي دورها بعد إغاثة ذوي الحاجات؟

● هل يقتصر دورها في الجوانب الخيرية فقط التي تنحصر في الجانب الاجتماعي؟

● ألا يعتبر الأداء الطوعي للزكاة غير المؤسس أسلوبا غير ناجع في أداء هذه الفريضة؟

● ثم لماذا نبحت عن تنظيم الزكاة تنظيما مؤسسيا؟

الله عز وجل في الاكتناز: ﴿وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبِشْرِهِمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ...﴾

من هنا تبدأ الصورة الحقيقية للهدف الأساسي من الزكاة ألا وهو التنمية...

هل يكفي أن يكون الهدف من الزكاة هو التنمية؟ أم أن الأمر لا يتوقف عند الهدف الدنيوي بل أنه يرتبط بهدف تعبدي؟

وهذا هو الأصل فللزكاة هدف دنيوي تعبدي، يتجسد من خلال البعد التنموي المقرون بالتقرب من الله عز وجل بفريضة مالية جعلها ركناً من أركان الإسلام ألا وهي الزكاة.

فماذا نقصد بالتنمية التعبدية؟

إن التنمية في الإسلام ترتبط بين التنمية الاقتصادية والاجتماعية، فلا يكفي أن نبحث عن زيادة متوسط دخل الفرد (وهو أساس التنمية الاقتصادية) وإنما يجب أن أبحث عن بعد أسمى من ذلك وهو أن أتمني مجتمعاً، أي أن النشاطات الاقتصادية التي أنشئها لا

يكفي أن تزيد من التوظيف وتحسين مداخيل الناس وإنما يجب أن لا تكون نشاطات شرها أكثر من خيرها كتلك المرتبطة بإنتاج الخمر والتبغ والمواد الضارة للمجتمع، وإنما يجب أن تكون نشاطات يستفيد منها المجتمع في حياته كإنتاج المواد الغذائية والآلات والمعدات الفلاحية... وتحسن من المستوى المعيشي لأفراد المجتمع، وفوق كل هذا وذاك يتغنى من ورائها مرضاة الله والتقرب إليه ولا يتقرب إليه إلا بالطيب مع النية الخالصة.

فهل يمكن أن تجمع الزكاة بين البعد الاجتماعي والاقتصادي والتعبدية؟

للإجابة عن ذلك علينا أن نبحث عن كل من البعد الاقتصادي والاجتماعي للزكاة:

البعد الاقتصادي للزكاة:

إعادة توزيع: فهي تضمن إعادة توزيع للدخل بشكل مستمر لا ينقطع كل سنة، وهي لا تنقطع حتى وإن انعدم محتاجون لها...

تحارب الاكتناز: لأنه تطيل للطاقت المالية والمادية، ويسبب الركود الاقتصادي، ويتسبب في البطالة...

تحفز على الاستثمار: فمعدل 2.5% يعتبر المعدل الأدنى الذي يجب على صاحب المال أن يتجاوزه بكثير لأنه إن حصل على ربح يساوى هذا المعدل أكلت الزكاة ربحه وجزءاً من رأسماله...

تكافح البطالة: فالمال الذي ينمى تتسع دائرة تمويله مما يتطلب توظيف أكبر وهذا ما يجعل نسب البطالة تتراجع عاماً بعد عام إلى أن يتم القضاء نهائياً على البطالة...

تشجيع الإنتاج: إن الآخذ للزكاة خاصة من كان ضمن الفقراء والمساكين سيخصص حصته من الزكاة للاستهلاك، وهذا ما يضمن دوران عجلة الإنتاج ما دام هنالك أناس يحصلون على دخل ينفقونه في قضاء حوائجهم الأساسية، وحتى بالنسبة لغير هؤلاء فالتوظيف الناجم عن استمرار تنمية المال يجعل أصحاب الوظائف

القديمة يستفيدون من مداخيل إضافية وأصحاب الوظائف الجديدة يحصلون على دخل مما يجعل الإنفاق الاستهلاكي يزداد سواء نتيجة الدخل الإضافي أو نتيجة المداخيل الجديدة...

الأبعاد الاجتماعية للزكاة:

مكافحة الفقر: إن النسبة التي نأخذها من مال الأغنياء ونحولها إلى المستحقين للزكاة تجعل نسب الفقر تتناقص شيئاً فشيئاً وذلك لاستمرارية الزكاة وعدم انقطاعها، وهذا يعني أنها لا تنقطع عن مكافحة ظاهرة الفقر بكل أشكالها حتى بالطرق غير المباشرة وأبرزها سهم الغارمين، فتخيل معي أن هذا الغارم صاحب مؤسسة صغيرة توظف 5 أفراد كل واحد منهم يعول عائلة تتكون من 4 أفراد فلو كان هذا الغارم صاحب المؤسسة عاجزاً عن سد ديونه لأغلق أبواب المؤسسة وأشهر إفلاسه وبيعت أصوله لكن النتيجة الأسوأ هي أن 5 عائلات بـ 20 فرداً أصبحت دون معيل، وهذا بسبب غارم واحد، وتخيل أن هذه المؤسسة توظف 100

عامل أو 1000 كيف سيكون مستوى الفقر عندئذ؟

تعزير التضامن والتكافل: بين أفراد المجتمع بمختلف طبقاتهم، مما يولد آثارا نفسية تساعد على ضمان الاستقرار بكل ما تحمل العبارة من معنى.

ترقية أخلاق المجتمع: وذلك من خلال القضاء على عناصر البغضاء والكراهية والحقد والحسد وتمني زوال النعم، حيث ينظر المحتاج إلى الغني على أنه جزء من المجتمع يعيش مشاكله ويساعد في القضاء عليها بخضوعه لأمر ربه بإخراج الزكاة، والغني يحس دائما بضرورة أداء واجبه الذي يضمن به رضى الله عز وجل ثم رضى الناس، ولا ننسى أن المحتاج الذي يستفيد من الزكاة يدعو دائما أن يبارك الله في أموال الأغنياء، وتخيلوا معي أثر الدعاء الطيب في نفوس الناس...

مكافحة الآفات الاجتماعية: إن الفقر يصنف على أنه من أهم العناصر التي تساعد على تفشي مختلف الآفات

الاجتماعية كالزنى، والسرقة، وتناول المحرمات، وتجارة المخدرات والمسكرات... وهذه العناصر نجد أنها تنتشر بشكل واسع في المجتمعات الفقيرة خاصة تلك التي غاب فيها الوازع الديني والأخلاقي، وتأتي الزكاة التي تجعل المرأة الفقيرة تحصن ولا تقرب الزنى لأنها توفر لها الضروري للحياة الكريمة، وتأتي الزكاة أيضا لتمنح المحتاج المستحق ما يمنعه عن مده يده ليسرق ويعتدي على حقوق الناس، وتجعل الفقراء يرفعون عن بيع المحرمات من المخدرات والمسكرات، وذلك بالأساليب المباشرة أو غير المباشرة كما رأينا في الجوانب الاقتصادية للزكاة...

ضمان استمرارية التعلم: فقد يعطى طالب العلم المتفرغ ما يكفيه حتى نضمن استمراره في تحصيل العلوم النافعة لمجتمعه، مما يقلل من التسرب المدرسي في كامل مستوياته وضمان تعلّم الفقراء والمساكين الذين يلجئون عادة إلى ترك مقاعد الدراسة بغية المساهمة في تخفيف العبء عن العائلة بسبب نفقات الدراسة، وإعطاؤه من الزكاة

قد يجعل منه سببا في إخراج عائلته من دائرة الفقر بعد إتمامه لدراسته.

أما الجانب التعبدي: فهو الحافز الذي يضمن استمرارية إخراج الزكاة ويضمن أيضا قيامها بدورها الاقتصادي والاجتماعي مما يسهم في ضمان التنمية الدائمة للمجتمع، ولن يكون ذلك ممكنا ما دام الوازع الديني ضعيفا، فقوة الإيمان عنصر أساسي في تعزيز قوة الزكاة في لعب أدوار هامة في المجتمع، ولن تتعزز هذه القوة إلا بتوفر عدد من العناصر نرى من الضروري التركيز عليها:

- خطاب مسجدي مقنع،
- خطاب مسجدي يحرك العاطفة التضامنية التكافلية عند الناس،
- فقه زكاتي ثير يفهمه عامة الناس وخاصتهم،
- تذكير دائم ومستمر بسنوية الزكاة ووجوب تنظيمها المؤسساتي،

ماذا نحتاج حتى نمكن الزكاة من تأدية دورها؟

ببساطة علينا أن نربط بين معادلة عناصرها كالتالي:

- مؤسسة راشدة، شفافة، دائمة التطور تتولى إدارة الزكاة،
- أناس مخلصون ونزهاء يتولون إدارة العمل الزكاتي،
- مسجد قوي مقنع يعزز ثقة الناس في المؤسسة،
- إعلام واسع ينشر الفكرة ويزكيها ويلح في التذكير.

وخلاصة القول:

لو أخرج الناس زكاتهم بشكل صحيح ودائم ونظم ذلك في عمل مؤسساتي لتمكن المسلمون من القضاء على كل مظاهر الفقر ولوجدوا لذلك آثارا اقتصادية واجتماعية وتعبدية عاشها المجتمع "العمرى" بقيادة عمر ابن عبد العزيز خامس الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم أجمعين...

والحمد لله رب العالمين